رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 22- سورة التوبة | من الأية 65 إلى 95

عبدالرحمن العجلان

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم. ولكن انهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او دخل اللوا اليه وهم ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا. وان لم يعطوا منها اذا - 00:00:00

يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله. وقالوا حسبنا الله انا الى الله راغبون يقول الله جل وعلا ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرحون ويحلفون بالله من هم - 00:00:32

المنافقون وقد تقدم من الايات في الحديث عن شيء من صفاتهم ومخازيهم التي اتصفوا بها واظمروها واخفوها واظهرها الله جل وعلا لرسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين ليحذروهم وهم من طبعهم الحلف الكاذب - 00:01:08

لانهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يخافون من عقاب ولا يرجون ثواب فهم يكثرون من الايمان الكاذبة التي تكون سببا في زيادة تعذيبهم في الدار الاخرة والعياذ بالله. كما ذكر الله جل وعلا - 00:01:39

ذلك عنهم في قوله تعالى فيما تقدم من الايات لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة. وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم - 00:02:02

والله يعلم انهم لكاذبون وقال ها هنا ويحلبون بالله انهم لمنكم وما هم منكم وسيأتي قريبا قوله جل وعلا يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وعموا بما لم ينالوا - 00:02:26

وقال جل وعلا اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله. والله يعلم ان اكل رسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فمن صفة المنافقين الاكثار من الحلف الكاذبة لانهم يعرفون حقيقة امرهم - 00:02:54

ويعرفون انهم ليسوا مسلمين ولا مؤمنين ولا متبعين للنبي صلى الله عليه وسلم ويخشون ان يطلع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على ما يبيتونه كانوا يموهون عليهم بالايمان الكاذبة بانهم صادقون وانهم مؤمنون وانهم مع الرسول - 00:03:21

والمؤمنين وانهم وانهم وهم كاذبون في ذلك يقول الله جل وعلا ها هنا ويحلفون بالله انهم لمنكم يحلفون بالله انهم لمنكم يعني معكم وعلى دينكم وانهم مؤمنون وانهم متبعون لك يا محمد وغير ذلك - 00:03:51

واتى الله جل وعلا حكاية عنهم باليمين مع التأكيد بان المؤكدة واللام الداخلة على الخبر في قوله ويحلفون بالله انهم ان اولا اليمين بالله جل وعلا ثم ان المؤكدة ثم - 00:04:21

اللام لمنكم يقول الله جل وعلا وما هم منكم هم كذبة في هذا فليسوا بمؤمنين بل ولا مسلمين ولا متبعين لك يا محمد ولا مصدقون بل هم كذبة وما هم منكم ولكنهم ما الذي حملهم على هذه الايمان - 00:04:50

الخوف والوجل في قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون. يفرقون بمعنى يخافون يخافون ان يطلع على ما في قلوبهم فيأتيهم العذاب فيعذبوا بايدي المؤمنين هم جبناء عندهم خوف اذا يأتون بهذه الايمان الكاذبة - 00:05:16

تستر واخفاء لحالهم والله جل وعلا كذبهم بقوله تعالى وما هم منكم وما الذي حملهم على هذه الايمان الكاذبة التي هي زيادة في تعذيبهم لانهم يخافون من المؤمنين ولكنهم قوم - 00:05:51

يفرحون فهم يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يقول الله جل وعلا واقامتهم

بينكم ومعكم وجلوسهم معكم ضرورة مضطرين لذلك لانهم لا يجدون مكانا يؤويهم او يحصنهم - 00:06:24
فهم ما جلسوا معكم حبا فيكم ولا متابعة لك ولا رغبة في البقاء بين اظهركم ولكنهم لا يجدون دون مأوى يؤويهم يقول تعالى لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه - 00:06:57
لذهبوا اليه مسرعين وهم يجمحون مسرعين لذهبوا اليه مسرعين لو يجدون ملجأ الملجأ الحصن الذي يتحصن به المرء او مغارات المغارات جمع مغارة وهي المكان في الجبل يختفي فيه المرء عن الاعين - 00:07:21
وغار بمعنى اختفى كما يقال غار الماء او غار ماء العين بمعنى اختفى لو يجدون مكانا في الجبل يختفون فيه تسارعوا اليه او مغارات او ما دخل شربا في داخل الارض - 00:07:59
يتحصنون به عنكم تسارعوا الى ذلك لو يجدون هذه الاماكن وهذه الاماكن لا تألفها النفوس ولا ترغبوا في الايواء اليها الا عند الضرورة لو وجدوا هذه مع انها غير مرغوب فيها لسارعوا - 00:08:30
اليها تولوا اليه لو اليه لذهبوا الى هذه الاماكن وهم يجمحون بمعنى مسرعين الجبوح الاسراع ومنهم في بيان شيء من صفاتهم ومنهم من يلمزك في الصدقات ومنهم من يلمزك في الصدقات - 00:08:55
يلمزك اللمز العيب يعيبك وينتقد عليك والهمز واللمس بمعنى متقارب بمعنى عيب الشخص لمزه وهمزه بمعنى الله جل وعلا يقول ويل لكل همزة لمزة يلمزك في الصدقات ان يعيبك في تقسيم الصدقات - 00:09:26
في تقسيم الصدقات وهذه نزلت في الخويصرة انتقد النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة ما بين يديه يقسمه صلى الله عليه وسلم وقال اعدل يا محمد فانك لم تعدل - 00:10:11
قال عليه الصلاة والسلام ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقام عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله فاضرب عنقه قال عليه الصلاة والسلام دعه فلما ولى قال عليه الصلاة والسلام - 00:10:41
انه يخرج هذا اي من امثاله قوم تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفي رواية يمرقون يخرجون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية - 00:11:10
وهم قوم اصحاب صلاة وصيام وقراءة للقرآن يمرقون يخرجون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يعني ليس عندهم شيء من الدين فهم يتعبدون لكن فقدوا الاصل عبادتهم مردودة عليهم - 00:11:43
لما اتصفوا به من الصفات الذميمة وهذه صفة الخوارج الذين يخرجون على الائمة على الخلفاء ويكفرون المسلمين بالذنوب وقد حذر صلى الله عليه وسلم منهم وامرنا بقتالهم مهما تكرر خروجهم - 00:12:15
فان خرجوا فاقتلوهم فان خرجوا فاقتلوهم صلى الله عليه وسلم في قتال هؤلاء لانهم يخرجون على الائمة ويحاولون تفريقه كلمة المسلمين ويكفرون المسلمين بالذنوب ويستحلون دماءهم واموالهم - 00:12:43
وقيل نزلت في شخص من الانصار لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم التفت اليه وقال يا محمد لم تقسم بالسوية وقيل نزلت في اعرابي حديث عهد في البادية وقال يا محمد - 00:13:18
ان كان الله امرك بالعدل فانك لم تعدل وعلى كل فهي نزلت انتقد النبي صلى الله عليه وسلم في قسمته وهو عليه الصلاة والسلام يقسم بامر الله وهو اعدل اهل الارض عليه الصلاة والسلام - 00:13:43
يقول تعالى ومنهم اي من المنافقين من يلمزك في الصدقات يعني يعيبك فيها. يعيبك في توزيعها وهذا العيب وتعرضهم لسب النبي صلى الله عليه وسلم والاعتراض عليه بالقسمة لا من اجل مصلحة عامة - 00:14:14
ولكن من اجل مصلحتهم الخاصة فقط لان كل واحد منهم ينظر الى مصلحته الخاصة فان اعطوا منها رضوا ان اعطوا من هذا الذي يقسم وسروا بذلك وكفاهم وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون - 00:14:34
ان لم يعطهم النبي صلى الله عليه وسلم واعطى غيرهم لمصلحة اما لحاجة او لتأليف او لسبب من الاسباب التي يعلمها صلى الله عليه وسلم وتخفى على من حوله الله جل وعلا وفقه - 00:15:02

لانه يعطي لحكمة عليه الصلاة والسلام يعطي لغرض صحيح فقد يعطي اشخاصا ويزيد في عطائهم لغرض ويحرم اشخاصا اخرين ثقة في ايمانهم بالله ورسوله فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون - 00:15:28
ان لم يعطوا من هذه الصدقات التي تقسم فانهم يسخطون ويغضبون ويتأثرون ويتكلمون ويقولون محمد يعطي على هواه يعطي من يريد ويحرم من يريد يعطي من يحب ويحرم من يبغض وهكذا - 00:16:01
ويسبون النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم عن الخطأ صلوات الله وسلامه عليه يقول الله جل وعلا ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ولو انهم رضوا بما قسم الله لهم وبما اعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم - 00:16:20
وقالوا احفظوا بما اعطوا من قليل او كثير ثقة بعدله صلى الله عليه وسلم وانه اعدل الخلق وقالوا حسبنا الله حسبنا بمعنى يعافينا الله سيؤتينا الله من فضله ايعطينا الله من فضله - 00:16:48
فيتفضل علينا ويعطينا في هذه الحال او فيما بعدها نحن متكلون على الله وعى معتقدون بان الله جل وعلا هو كافينا ومتولي امورنا فان كان قد قسم لنا في هذه شيء اتانا - 00:17:20
وان لم يقسم لنا الله في هذه شيء يقسم لنا في المستقبل لن يضيعنا وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله الحزب الله جل وعلا وحده حسبنا الله والايتاء سيكون من الله جل وعلا على يد الرسول صلى الله عليه وسلم - 00:17:47
فيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون مؤمنون بالله متكلون عليه مقبلون على ربنا واثقون بعطائه جل وعلا وان ما قسمه لنا يكفينا المؤمن يؤمن بما قسم الله له - 00:18:17
وان ما قسم الله له سيأتيه. وان فيه الكفاية وان الله لن يضيعه. فان اعطاه رضي بالعطاء وان منعه جل وعلا فهو يقول الحمد لله ما منع مني ذلك الا لما فيهم من المضرة علي - 00:18:47
فهو يعتقد ان ما يقدره الله جل وعلا في حقه خير ان كان عطاء حمد الله وشكره وان كان منع صبر واحتسب ورضي بما قسم الله له واما المنافق الذي لا يؤمن بالله ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الاخر فرضاه متوقف على العطاء - 00:19:08
ان اعطي رضي وان لم يعطى سخط لا يريد الا مصلحة نفسه فقط لا يقول غيري احق مني لا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم يعطي لغرض صحيح وحكمة ومصلحة من مصالح الايمان - 00:19:36
لانه عليه الصلاة والسلام لا يحتجز الاموال لنفسه ولا يبقي منها شيئا له. عليه الصلاة والسلام بل ما يأتي يقسمه على ما اراه الله جل وعلا وقد يعطي المهاجرين والانصار - 00:19:57
وقد يعطي المؤلفة قلوبهم حديث العهد بالايمان يعطيهم ليتقوى ايمانهم يعطي لغرض صحيح صلى الله عليه وسلم واين جواب لو في قوله جل وعلا ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله - 00:20:20
وقالوا حسبنا الله ورسوله حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون. اين جواب لو محذوف دل عليه السياق فكان خيرا لهم ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله - 00:20:44
وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون. لو قالوا هذا لكان خيرا لهم في الدنيا والاخرة الله جل وعلا سيعطيهم ما قسمه لهم وسيسوقه لهم على يد الرسول صلى الله عليه وسلم - 00:21:02
ولن يحرمهم حقهم وكذا الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اعدل الخلق على الاطلاق فلو انهم رضوا بقسمة الله فان كان عطاء حمدوا الله وشكروه وان كان منع بقضاء الله وقدره - 00:21:23
وهكذا ينبغي للمؤمن في جميع احواله ان يكون راض بما قسم الله له من غنى او فقر من صحة او مرض يقول راض بقضاء الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن - 00:21:47
ان امره كله له خير ان اصابته سر فشكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن. او كما قال صلى الله عليه وسلم - 00:22:09
المؤمن في كلا الحالين راض بقضاء الله وقدره اذا اعطي واستعمل هذه النعمة فيما يرضي الله جل وعلا. استعان بها على طاعة الله.

انفق منها بالمعروف من غير اشراف ولا تبذير - 00:22:31
ولا تقتيل وسطا بين الامرين وواسى اخوانه المعلمين والمحتاجين واعطاهم مما اعطاه الله وقد وعده الله جل وعلا بالخلف بان يخلف عليه ما هو نستعين بنعمة الله على طاعة الله جل وعلا - 00:22:57
ما ينفقه على عياله يؤجر عليه وما يبذله صدقة لله على اخوانه المسلمين المحتاجين يضاعفه الله له ويخلف عليه في الدنيا وينميه له في الدار الاخرة واما الكافر والمنافق الذي لا ايمان عنده والعياذ بالله - 00:23:23
نحو ان اعطاه الله جل وعلا العطاء استدراجا استعان به على سخط الله وعلى ما يسخط ربه جل وعلا انفق منه على نفسه وعلى عياله اشرف وتجاوز الحد وان انفق منه في غير ذلك - 00:23:52
جعله فيما يسخط الله لا فيما يرضي الله جل وعلا وان حرم العطاء فانه يتسخط ويغضب ويتأثر لذلك ويسب نفسه ويسب دينه ان كان يتسمى باسم الاسلام ويسب ربه جل وعلا - 00:24:22
ويتهمه بانه لم يعدل فيه تعالى الله وهكذا حال المنافق والفاجر والعياذ بالله الله جل وعلا يبين لنا في هذه الايات الكريمة صفات المنافقين لنحذرهم ولنبتعد عن هذه الصفات التي ذمها الله جل وعلا ونحرص على صفات المؤمنين التي بينها الله - 00:24:45
جل وعلا لنا في كتابه العزيز اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم. ولكنهم قوم يفرقون. لو ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون - 00:25:15
قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى يخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن جزعهم وفزعهم وفروق وفوقهم وفرقهم وفرقهم وهلعهم انهم يحلفون بالله انهم لمنكم يمينا مؤكدة - 00:25:42
وما هم منكم اي في نفس الامر. ولكنهم قوم يحرقون. اي فهو الذي حملهم على الحلف اي اي فهو الذي حملهم على الحلف لو يجدون ملجأ اي حسن يتحصنون به وحرزا يتحرزون - 00:26:03
او مغارات وهي التي في الجبال او مدخلا وهو السرب في الارض والنفق قال ذلك في الثلاث ابن عباس ومجاهد وقتادة لو اليه وهم يجمحون. اي يسرعون في ذهابهم عنكم. لان - 00:26:26
انما يخالطونكم كرها لا محبة لا محبة وود انهم لا يخالطونكم اودوا انهم محبة وود ولو وودوا انهم لا يحاربونكم. اي يسرعون في ذهابهم عنكم لانهم انما يخالطونكم كرها لا محبة وودوا انهم لا يخالطونكم ولكن للظرورة احكام ولهذا لا يزالون في - 00:26:46
وحزن وحزن وغم لان الاسلام واهله لا يزالون في عز ونصر ورفعة. فلهذا كلما سر المسلمون نساءهم ذلك فهم يودون الا يخالطوا المؤمنين. ولهذا قال لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون - 00:27:19
ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا. وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون. ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله. وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله - 00:27:44
انا الى الله راغبون يقول تعالى ومنهم اي ومن المنافقين من يلمزك اي يعيب عليك في قسم الصدقات اذا فرقتها يتهموك في ذلك وهم المتن المتهمون المأذنون المهضومون وهم المتهمون المأمونون وهم مع مع هذا لا ينكرون للدين. وانما ينكرون لحظ انفسهم - 00:28:05
ولهذا ان اعطوا من الزكاة رضوا. وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون. اي يغضبون لانفسهم. قال ابن جرير قال ابن جريج اخبرني داوود ابن ابي عاصم قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتي النبي صلى - 00:28:38
الله عليه وسلم بصدقة. فقسمها ها هنا وها هنا حتى ذهبت. قال ووراءه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه الاية وقال قتادة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات. يقول ومنهم من يطعن عليك في الصدقات. وذكر لنا ان رجلا من اهل البادية - 00:28:58
حديث عهد باعرابية اتى ان اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهب وهو يقسم ذهبا وفضة قال يا محمد والله لان كان الله امرك ان تعدل ما عدلت. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك - 00:29:24

فمن ذا الذي يعزل عليك بعدي؟ ثم قال نبي الله احذروا هذا واشباهه فان في امتي اشباهها اشباه هذا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم. ثم اذا خرجوا فاقتلوهم. ثم اذا خرجوا فاقتلوهم - 00:29:44

وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفسي بيده ما اعطيكم شيئا ولا امنعكم انما انا خازن يعني لست انا المعطي ولا المانع وانما المعطي هو الله جل وعلا - 00:30:11

وانما انا بيدي المال اعطي يشبه ما رواه الشيخان من حديث الزهري عن ابي سلمة عن ابي سعيد في قصة ذي الخويسرة وقصة ذي كويسة مروية في الصحيحين البخاري ومسلم. نعم. لما اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنائم حنين - 00:30:29

فقال له اعدل فانك لم تعدل. فقال لقد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل. لقد خبت وخسرت ان لم اكن عدل فقال لقد خبت وخسرت الا ما كنا اعدل. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه مقفيا - 00:30:56

انه يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمر من الدين مروق السهم من الرمية. فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فانهم شر قتلى تحت اديم السماء - 00:31:19

وذكر بقية الحديث. ثم قال تعالى منبها لهم على ما هو خير لهم من ذلك. فقال ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله. وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله. انا الى الله راغبون - 00:31:39

فتضمنت هذه الاية الكريمة ادبا عظيما وسر وسرا شريفا حيث جعل الرضا بما اتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده وهو قوله وقالوا حسب الله وكذلك الرغبة الى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وامتثال اوامره - 00:32:00

زواجه وتصديق اخباره والاقتفاء باثاره الله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:32:26